خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٣ من رجب ١٤٣٦ هـ / ١ من أيار ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين. عباد الله ، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيد﴾ [سبأ: ١٠].

معاشر السادة: يُعتبر الفقر سبباً ونتيجةً في سلسلة المشكلات التي نعاني ويلاتها، والفقر في نظر الدين قد يكون معصية يُسأل الفرد في الوقوع فيها، وقد يكون نكبة تُسأل الدولة عن ضرورة تلافيها، وعوام المسلمين يَرون أن رِقَّةَ الحال ضرب من التدين، وأن الفقر في الدينا أمارة على الغنى في الآخرة، وهذا خَطأٌ بعيد يعمل الكثيرون على إشاعته، فالإسلام يَعتبر الفقر مصيبة، ويعمل على تخليص الناس من آثارها جُهد المستطاع، وقد امتن الله على النبي ﷺ بنعمة النجاة من متاعب العيلة والحيرة واليتم، حيث خاطبه بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦-٨] لذلك كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو قائلاً: ((اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت)) وكان يَقرن استدانة العوز والحاجة بسقطات المعاصي، حيث يستجير بربه قائلاً: ((أعوذ بك من المأثم والمغرم، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) والإسلام يُحب المسلم الذي يَملك شأنه ويَحزم أمره، ويستثمر قواه ولا يعيش في الدنيا متصعلكاً مضيعاً، وكراهة الإسلام للقعود والعيلة جعلته يَرفع مَنزلة العمل، ويَعد التعب فيه جهاداً في سبيل الله، والهجرة في طلبه هَجرة إلى الله، لذلك قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص، في ما رواه أحمد وغيره: ((إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)).

إن الاضطراب الاقتصادي في أحوال كثيرة قد يَكون السبب الأوحد في نُشوء الرذيلة وشيوعها، وقد بَين ذلك نبي الإسلام صلوات الله وسَلامه عليه في قصة رمزية صغيرة، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد السارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية ، فقال: لأتصدقنَّ بصدقة، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني، فقال الرجل: اللهم لك الحمد، على سارق وزانية وغني، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يَستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله تَعتبر فيُنفق مما أعطاه الله)) هَذه القصة –يا سادة– تشير إلى أن الفقر قد يُلجأ إلى السرقة والزنا، وأن علاج هذه الجرائم يكون بمحو العلل التي تمخضت عنها، وقد ينشأ الاضطراب الخلقي عن الاضطراب النفسي، ثم تبقى النفس صريعة له أمداً طويلاً، حتى يتغلغل في أعماقها وتغور جذوره في طبيعتها، فإذا انزاحت الأسباب الاقتصادية المحرجة بَقيت النفس على الحال الأثيمة التي اكتسبتها فلا تتخلى عنها إلا بعد جهاد طويل.

إن الاضطراب الاقتصادي يُورث الأخلاق اضطراباً شنيعاً، بل يجعل الأجيال المتعاقبة تتوارث أنواعاً شتى من أخبث الأمراض النفسية والآفات العقلية، الوخيمة النتائج البعيدة الأخطار، وكم تظن عمق الفجوة بين بيوت العبادة ونواحي المجتمع، إذا كانت هذه توحي إلى الخير بأقوالها وهذه توحي إلى الشر بأحوالها، إن العلاقة بين الاثنين هي علاقة بالخيال، فينما القول البليغ يهتف في المساجد أن فروا إلى الله، إذا الناس مُثقلون في المجتمع بقيود من الحاجة الملحة تَحبسهم شجون الضرورات المذلة والعذاب الأليم، فلا يَستطيعون عنها فِراراً وودوا لو يَستطيعون يقول العباقرة والمفكرون، كان عمر بن الخطاب ﷺ أخبر الناس بأثر الأوضاع الاقتصادية في الأخلاق، وضغطها المباشر وغير المباشر على سلوك الأفراد والجماعات، تدبر هذه الوصية التي وجهها إلى ولاته مرشداً وموجهاً لهم في كيفية التعامل مع الناس، حيث قال: (لا تضربوهم فتُذلوهم، ولا تجتمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتُكفروهم، ولا تُنزلوهم الفيافي فتضيعوهم) ومعنى التجمير إطالة غربة الجيش بعيداً عن الزوجات والأولاد، فقد يُؤدي ذلك إلى الانحراف الجنسي واعتياد المعصية، وهذا إرشاد خليفة يَعرف الواقع ويَعترف بما ينشأ عنه.

ذات ليلة كان عمر يعس، فإذا هو ببيت مبني من شعر لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قريباً قاعداً، فدنا منه فسلم عليه ثم قال: من الرجل؟ فقال: رجل من أهل البادية أتيت أمير المؤمنين أُصيب مِن فضله، فقال: فَما هذا الصوت الذي أسمع في البيت؟ فقال: امرأة تُمَخَّض، فقال: هل عندها أحد؟ فقال: لا، فانطلق عمر حتى أتى منزله، وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا امرأة، هل لك من أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ فقال: امرأة غَريبة وليس عندها، فقالت: نعم إن شئت، قال: فَخُذي ما يُصلح المرأة لولادتها، فَحَمل عمر طعاماً ومَشت زوجته خلفه، حتى انتهى إلى الباب، وقال لها: ادخلي إلى المرأة، وراح عمر يُوقد النار لإطعام الرجل وزوجته، وولدت المرأة، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين، بَشِّر صَاحبك بغلام، فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هَابه، فجعل يتنحى عنه، فقال له عمر: مكانك كما أنت، ووضع بين يديه الطعام، وقال: كل ويحك قد سهرت من الليل، واتنا غداً نأمر لك بما يُصلحك.

هذه أو تلك صورة المؤمن الحق عندما يتحسّسُ كل ثغرة في المجتمع فَيَسدها وكل محنة فيزيلها، ولسنا نقول ذلك مبالغة ولا مجازفة، فإن الأوضاع الاقتصادية الجائرة لم تَشق طريقها في هذه الحياة إلا عند شلل الدين عن حماية الحقوق وصيانة الإنسانية، عندما وقعت هذه المحنة النفسية المذلة جاء من يقول:

ما دُمت محترماً حقي فأنت أخي آمن بالله أم آمنت بالحجر

هكذا يذوب الإيمان وتسقط رايته، وذاك ما كان عمر بن الخطاب ﷺ يحذره، وهذا معنى كلمته الكبيرة: (لا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم) ويُروى عنه أنه قال: (والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، والله لئن عشت لهم ليصلن الراعي في صنعاء حَظَّه مِن هذا المال).

إن كلام عمر –يا سادة– يتضمن دستوراً خطيراً من أهم دساتير الحرية الاجتماعية والاقتصادية، وحصانة قوية من الحصانات التي تتوافر للشعوب، فتقيها أوزار الظلم الاجتماعي وظلماء الاستعمار الداخلي المتمثل بتجار الحروب والأزمات.

إن تصرف عمر يُعلمنا أن العقائد الدافعة إلى العمل الصالح والخلق الفاضل هي محور الدين وتعاليمه، والدين لا تقوم دعامته إلا من خلال السعي على الفقراء والمحتاجين، لا سيما في ظل الأوضاع القاهرة التي تمر بها الشعوب والإنسانية.

قال أحد العلماء في مصر رحمه الله: لقد رأيت بعد تجارب عدة أَنَّني لا استطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجو الملائم لغرس العقائد العظيمة والأعمال الجليلة والأخلاق الفاضلة، إنه من العسير جداً أن تَملأ قلب الإنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان بدنه عارياً، إنه يجب أن يضمن ضرورات حياته التي تقيم أوده كإنسان، ثم ينظر بعدئذٍ أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان.

قال العالم: كثير ما وجدتني أعالج وعظ الناس في بيئات صرعها الفقر والمرض والجهل، فكنت أحار ماذا أقول لهم، هل أقبح لهم الدنيا كما يُظن أنه مفروض على علماء الدين؟ إن الدنيا لن تكون أقبح مما عليه في أعين هؤلاء التعساء، فحاجتهم إلى مَن يعرفهم أركان الحياة أمس من حاجتهم إلى من يعرفهم أركان الإسلام، وجمهورهم لا يَعرف الأساليب الصحيحة للزراعة والصناعة والتجارة فضلاً عن أن يعرف كيف يعامل ربه وإخوانه وحكامه، وهؤلاء التعساء مذهولون عن أنفسهم، تائهون عن حاضرهم، والدين الحق لا يستطيع أن يُؤدي رسالته في هذا الجو الخانق، ولا يمكن أن تُثمر عقائده في هذه البيئات العقيمة، فلا بد إذاً من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشامل إذا كنا مخلصين حقاً في محاربة الرذائل والمعاصي والجرائم باسم الدين، أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين، أما أن نترك الظروف التي تلد الجريمة حتما تنمو وتتكاثر، ثم نكتفي في خدمة الدين بالنصائح المجردة والعواطف المفتعلة، فهذا في الحقيقة هو العَبث المهين.

معاشر السادة: السوريون اليوم وكذلك اليمنيون يُعاون من حرب اقتصادية خطيرة، نحن نَحتفل بعيد العمال، ونُجِلُّ العمال الذين وقفوا وقفة شرف وشجاعة وجرأة بوجه هذه الحرب العدوانية الشرسة الماكرة على سوريا، ونحن اليوم في هذا المبارك نَشُدُّ على أيدي العمال، لكي نُحافظ على اقتصادنا، لكي نعمل على حماية اقتصادنا، فآل سعود قَبَّحهم الله، وأردوغان قبحه الله، والقطريون قبحهم الله، والملك الأردني قبحه الله، وكل من يعمل على المكر والغدر بهذا الوطن، يُحاربون المواطن اليوم السوري بأمرين اثنين: حرب اقتصادية من أجل لُقمة عيشه، لكي يَنفر، لكي يضج، لكي يتأفف مما هو عليه. وحرب إعلامية

مُضللة، تعمل على تمزيق معنوياته وقتل أعصابه إن صح التعبير، لكننا –يا سادة أربعة– أعوام مَضت بكل ما تحمل هذه الأعوام من قسوة وآلام، لكننا كسوريين نَفتخر بصمود الشرفاء في هذا الوطن، أنا عِندما أستمع إلى امرأة في حلب، حلب القلعة، عندما قالت تلك المرأة، في حلب الصامدة، في حلب الشهباء: نحن نأكل العشب من أجلكِ يا سورية، نحن نأكل التراب من أجلكِ يا سورية، ونحن أيضاً من دمشق، وكذلك في دير الزور، وكذلك في حمص وحماة ودمشق وريفها، نَقول للمتآمرين على هذا الوطن، أنتم –يا خونة– تُحاربوننا بالدولار، على الرغم من أننا لا نأكل من خيرات الدولار، نحن نأكل من خيرات سوريا، لكن لعنة الله على الفجار الذين لا يَهمهم إلا أن يملؤوا بُطونهم وجُيوبهم، نحن نأكل من خيرات هذا الوطن، لن نركع مهما ضَغطتم على اقتصادنا، ومهما عملتم على الإشاعات، حرب في الجنوب، اجتياح من الجنوب من جهة الأردن، اجتياح من الشمال بقيادة تركيا، وحرب داخلية يَقودها عراقي مرتزق وشيشاني معتوه، والمواطنون لا يَدرون ماذا يفعلون، ألا تدري ماذا تفعل؟ أنا أدلك على الطريق، أنا أعطيك الدليل، احمل –أيها المواطن– هذا العلم، هذا العلم احمله في شوارع سورية، في كل حارة من حارات هذا الوطن، وفي كل شارع من شوارع هذا الوطن، وقولوا للأعادي: هذا هو طريقنا، سندفع الثمن مهما كان غالياً، لكي نجعل هذا العلم مَرفوعاً خفاقاً فوق سماء هذا الوطن الحبيب، وأنا أُقبله، فهو وسام الشرف لنا، أما راياتكم السود فَنَدوسها تحت أقدامنا، وأما علم الانتداب فقد وضعناه في حاويات القمامة منذ بداية هذه الحرب علينا، لا بَديل أحفظها –أيها السوري– لا بديل عن علم الجمهورية العربية السورية، لا بَديل عن هذا العلم، فيه عِزُّنا، فيه فخرنا، فيه مجدنا، فيه نصرنا، ولا بديل عن القائد المقاوم بشار حافظ الأسد، هذا القائد الذي أحبه شعبه، هذا القائد الذي وقف إلى جانب شعبه، حتى قال عنه الروس: إننا لنعجب من شأن بشار الأسد، الرئيس الأوكراني من أول هجوم بسيط حزم أمتعته وترك بلده، غادر أوكرانيا، أما القائد بشار الأسد، قال: لا، أنا سوري، هنا أرضي، هنا شعبي، هنا وطني، ولا بديل عن المقاومة، لا بديل عن منهج المقاومة ومحاربة الإرهاب وداعميه، سندافع، سنقاتل، سنصمد، نحن لا نخاف أحداً إلى الله، لأن حياتي بيد الله، وليست بيدك.

قال السنوسي لعمر المختار: يا عمر أنت لا تستطيع أن تواجه الطليان، أنت تغزوهم على دابة متواضعة وبندقية بسيطة، ألا تراهم كيف يأخذون أرضك يوماً بعد يوم؟ فأجابه عمر، أجابه ليحبط المعنويات والهمم، قال: الأرض التي يأخذها الطليان في النهار نستردها في الليل، وبطل البداوة لم يكن يغزو على

دنك، وانتصرت ليبيا، وانتصرت ثورة عمر المختار، وحُررت ليبيا من قهر الطليان الجبابرة، وهذا درس، ونحن كسوريين نجهل التاريخ مع الأسف، لا أعمم، أقول البعض، من كان يقرأ التاريخ، يدرك أن الله ينصر الحق وأهله ولو بعد حين، نحن سننتصر على أردوغان، سننتصر على أموال آل سعود، سننتصر على الرغم من كل ما نُعانيه من ضغوط وشدائد ومكر، لأننا أصحاب حق، وصاحب الحق ينصره الله ولو بعد حين.

أيها السوريون، يا دمشقيون، تاريخكم عريق، لكم أياد طيبة في الدفاع عن هذا الوطن، لكم تاريخ في حب هذا الوطن والغيرة عليه، أوجه رسالتي إلى كل شاب متخاذل أو متجابن، أن يلتحق بالجيش العربي السوري، أن يلتحق بهذا الجيش العملاق الذي أصبح أسطورة يتحدث عنه الأعادي والمحبون.

إن الجيش لا كما يشاع –يا سادة– بأن الجيش متدهور، لا كما تنقلع قنواتهم القذرة التي قامت على الكذب والخيانة والتدليس والتنجيس، يقولون أن الجيش منهار، لا، جيشنا اليوم أقوى من الأمس، وعندي الدليل، ما هو الدليل؟ هذا الشعب هو كله جيش، الشعب العربي السوري كله جيش، ونحن عندما تدعون القيادة ويدعون هذا الوطن الحبيب إلى حمايته والدفاع عنه، والله لن نتوانى، وإذا متنا شهداء فهو شرف لنا ومكرمة، لا نموت أذلاء على الإطلاق، لا تنسوا كلمة ذاك الشاعر عندما قال:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق الرماح

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانـ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم عليك باليهود ومن والاهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم أرنا فيهم آيات قدرتك وقهرك

كما أريتنا إياها في أبرهة وجيشه، اللهم إنا نسألك وأنت خير من سأل وخير من أجاب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً اللهم سدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وثبت الأرض تحت أقدامهم، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.